أثر التوجيهات
الشفاهية للحاكم بأمر الله الفاطمي

أ.م.د. طه حسين عيسى
taha.hussein@iku.edu.iq
كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة

أثر التوجيهات الشفاهية للحاكم بأمر الله الفاطمي

أ.م.د. طه حسين عيسى

الملخص:

التوجيهاتُ هي تلك الكلماتُ الوجيزةُ التي يطلقها الخليفة او الوزير او رئييس الديوان في شأن من شؤون الدولة ، وهذه التوجيهات تكون بمنزلة تشخيص سريع لأي خلل يراه الخليفة ومن ثم يبادر الى علاجه بحيث تعد هذه التوجيهات وكأنها توقيعات، ولكم لم نطلق عليها توقيعات لكونها لم ترسل الى الخليفة على شكل بريد حتى يتم الإجابة عليها أو يبدي رأيه فيها أو يجري حكمه عليها سواء كان ذلك الحكم انصافاً لمظلوم من حيف وقع عليه أو عزل والٍ إساء الى الرعية، إذن التوقيع دلالة على ان البريد قرأ من ناحية وجواب مكتوب من ناحية أخرى، في حين يكون التوجيه الشفوي عبارة عن حالة مرئية وقعت أمام الخليفة فبادر الى تصحيح هذه الحالة بالطريقة التي يراها مناسبة، وهذا ما أردنا تبيانه من المشاهدات الحسية التي وقعت امام انظار الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت ٤١١ هـ) وكيف كانت ردة فعله على هذه المشاهد، وقد أسهمت هذه التوجيهات في حل الكثير من المشكلات والقضايا الاجتماعية، بل وارتبطت بالحكمة والقبول المقنع والفصل في الكثير من المواقف والتي تحتاج الى توجيه صارم في بعض الأحيان، علما ان هذه التوجيهات قد يصدر بعدها أمر بإصدار سجل خاص بها لكن الذي نحن نحدده بصدده ان هذه التوجيهات اول وقوعها صدرت من فم الحاكم وبعده يتم تنفيذ أمره مباشرة.

الكلمات المفتاحية : ابن عمار ، كتامة ، التوجيهات ، اهل الذمة

ABSTRACT:

Directives are those concise statements issued by the Caliph, the Minister, or the Head of the Diwan regarding state affairs. These directives serve as a quick diagnosis of the Caliph's shortcomings, prompting him to take immediate action. These distinctive directives are considered signatures, but they are not merely signatures; they are sent to the Caliph via mail for him to respond to, express his opinion on, or issue his judgment on them. This might involve redressing an injustice done to someone wronged by a decree or removing a governor who has mistreated the people. The signature indicates that the mail was read on one side and a written response on the other. In contrast, oral evidence represents a visible situation to the Caliph, prompting him to rectify it early. This is what we aim to illustrate through the tangible observations that unfolded before the eyes of the Fatimid Caliph al-Hakim bi-Amr Allah (d. 411 AH). His reaction to these observations was not merely a reaction to them. These indicators have proven instrumental in resolving many social issues and matters. They have been

recorded with convincing judgments and decisive rulings, often requiring the issuance of orders. Note that these directives may sometimes lead to the issuance of an order. By issuing a record of it, but we define it and know that these directives came from the ruling film and after that his order was carried out directly.

Keywords: Ibn Ammar, Ketama, directives, People of the Covenant

المقدمة

تعد التوجيهات من الفنون المهمة ؛ وذلك لارتباطها الوثيق بإدارة الدولة وشؤونها المختلفة ، منذ عهد النبي الاكرم ﷺ بل نجد ان هذه التوجيهات ازدادت أهميتها مع توسع وتطور الدولة الإسلامية ، لكن لم نجد لهذه التوجيهات العناية اللازمة من الباحثين ، واقتصرت هذه التوجيهات في سردها بصورة عرضية بدون ان يخصص لها بحوث مستقلة ، ومن هنا جاءت توجيهات في سردها بصورة عرضية بدون ان يخصص لها بحوث مستقلة ، ومن هنا جاءت توجيهات الحاكم بأمر الله انموذجاً لها، ولنسلط الضوء على أهميتها والتي لا تقل شأناً عن التوقيعات الصادرة من الخليفة او من ينوب عنه.

اولاً: مفهوم التوجيهات

ثانياً: موضوع توجيهات الحاكم بأمر الله

ثالثً: السمات الفنية لتوجيهات الحاكم بأمر الله

أولاً:مفهوم التوجيهات

تَوَجّهَ إليه بمعنى اقبل وقصد، واتجه صوبه بمعنى اقبل نحوه، واساس الكلمة توجيه: هي وِجْه وتعني: انحنى، ارشد، وتوّجَهَ: تعني انحناء لاي جهة من الجهات الاربع (جروان ١٩٨٤، ص٥٧٣)

ونقول وجّه الشيء اي اداره الى مكان آخر او جهة اخرى، والمُوَجّه هو المسؤول عن عملية التوجيه، اما الموَجَّه هو الذي يقع تحت تاثير عملية التوجيه، والموضوع نحو الهدف الذي يسير اليه الموجه. (رزوق ١٩٨٠، ص٦٤)

التوجيه هو التسديد للهدف فيقال سدّد السهم اذا وجّهه وجه المصوب، والتوجيه هو التقويم في دفع الاعوجاج كتقويم الرمح والقدح ثم يُستعار فيقال قوّم العمل فالمسدد هو

المقوم لسبب الصلاح، والتسديد يكون في السبب المولد كتسديد السهم للاصابة. (العسكري ١٩٨٨، ص١٢٥)

وفسر التوجيه عبر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام كأنه وجّه إليهم أن انذروا عبادي (الزبيدي ١٩٦٩، ص٧١٠٦)

وقد اختلفت هذه التوجيهات الشفاهية لاختلاف مقاصدها، بل نجد ان هذه التوجيهات في حال نفاذها إلى أعماق نفس ذلك الانسان، فإنها تسلط الضوء على الرواسب المتراكمة وهنا يكون للبيئة الفاسدة مدخلية مما ولدت عنده معطيات في نشأته الخاطئة؛ وهنا تكمن اهمية التوجيهات التي تمنح الانسان الثقة بذاته وتعلي معنوياته مما يجعله في الطريق السليم لمكافحة كل بذور الانحراف؛ أي إنها توضح للإنسان عن حقائق الطبيعة والحياة، وتجعله ينظر إلى ما يدور في فلكه ببصيرة ورؤية حادة.

ومن أهم الوظائف الأساسية التي تناط بالدولة هي اتاحة الفرص لرعاياها لأن يعيشوا حياتهم كأناس أسوياء ، وان اهمية الدول والاعمال النافعة والضارة التي يقوم بها رجالها تقاس من خلال هذه المهمة، فالقاعدة الاساسية في حياة المسلم الاجتماعية والسياسية، القاعدة التي كما هو شائع ومعروف في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. وتبدو اذن بمثابة مسؤولية مقسمة بين الدولة والمواطن (برنارد ١٩٩٠، ص٤٢)

والتوجيه هو جزء اساس ورئيسي من قيادة الأمة، والتي تتطلب من الحاكم ان يقضي بعض الوقت مع الأفراد من أجل الاصغاء وفهم ما يدور في خلجات رعيته، ثم تقديم النصح اللازم والارشاد الواجب التي تيسر المواجهة للمواقف العصيبة خلال تأدية اعمالهم، وهذا بدوره يؤدي الى بروز صور من التفاني في حب هذا التوجيه والعمل على تنفيذه بحرفية عالية.

ثانياً : موضوع التوجيهات

يبدأ عصر الحاكم بأمر الله حقاً وهو اعجب عصر في تاريخ مصر في الطول والعرض، وربما كان أغربها في التاريخ الإسلامي، وهذا العصر يختلطه الخفاء والروع، وتكسوه ألوان من الإغراق فضلاً عن متناقضات مدهشة مثيرة معاً، ولكن هذه الألوان الخفية

المغرقة وهذه النواحي المتناقضة هي التي تسبغ على العصر أهميته عند المؤرخين وهي التي تحيط شخصية الحاكم المتضببة مما يجعل الحجب كثيفة وهنا يتعسر النفاذ اليها (عنان ١٩٣٥، ص٦٤٦)، وهذه الصعوبات تكمن من خلال أخذ الرواية الاسلامية بظواهر الحوادث المادية.

وهناك عدة اعتبارات لابد من الأخذ بها؛ منها طموح هذا الحاكم فضلاً عن ظروف حكمه للواقع المعادي المحيط به، كما ان الوسائل التي اتبعها نجدها موائمة ومتوازنة مع زمنه حينا، لكن في احيان كثيرة نجد علامات الاستفهام والتعجب تدور حوله وحول سلوكياته (الغيطاني ٢٠٠٨، ص٢٠٩)

كما يجب علينا معرفة أن هذا الانسان هو ذلك المجهول، ومن غير اليسير الحصول على عرض مبسط له، ومن العسير فهمه سواء في مجموعه او في اجزائه في آن واحد، كما لا توجد اية آلية لفهم علاقاته بالعالم الخارجي (الكسيس د.ت، ص١٢)

وكان الحاكم صاحب مزاج من الصعب ادراكه، واطوار غاية في الغرابة، مما افسح المجال لظهور عدة تفاسير متباينة لشخصيته، ويعزو فرهاد هذه التفاسير لشخصية الحاكم بسبب التشويه المؤدلج والتسقيط المتعمد الذي قام به المؤرخ المسيحي الانطاكي (ت ٤٥٨هـ) والى العديد من مؤرخي السنة المعادين. (دفتري، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ٢٠١٤، ص٣١٤)

المحقق في توجيهات الفاطميين ولاسيما الحاكم بأمر الله يجد تنوعاً وتعدداً في الموضوعات التي يحاول فيها توجيه رعاياه، وقد ترجع كثرة هذه التوجيهات وتنوعها الى طبيعة السياسة التي تتبعها الدولة الفاطمية وخاصة الحاكم بأمر الله والذي كان يسعى الى الإمساك بزمام الامور وعدم صدور التوجيهات الا من عنده.

فضلاً عن طبيعة شخصية الحاكم ومحور حركيته في المجتمع، والتي يترتب عليها كثرة القضايا التي كان لها الأثر الكبير في هذه التوجيهات التي صدرت من الحاكم للبت فيها وإبداء الرأي ومن ثم التنفيذ.

ولعل ابرز الموضوعات التي وردت في توجيهات الفاطميين واكثرها ما يتعلق بالحكم والسياسة وادارة شؤون الرعية لاسيما ان الحاكم كانت له طبائع تختلف عن سابقيه ولاحقيه

وهذا ما نلحظه ونحن نتباحث في ايام حكمه، فبعد تنصيبه بطقوس خاصة كانت اولى وأهم توجيهاته والتي يريد بها الاعتماد على رجال ليستند عليهم في ادارة شؤون دولته؛ لذلك نجده قد " خلع على ابن عمار وقلد بسيف من سيوف العزيز وكناه الحاكم ولقبه امين الدولة قائلاً له : "انت الأمين على دولتي ورجالي " (المقريزي ١٩٩٨، ص٣٣)

ويعد هذا اهم توجيه بعد تسنم الحاكم مقاليد السلطة وقد اراد بهذا بداية لبناء الجهاز الحكومي ودعم مقومات الدولة من خلال الاعتماد على رجال هو يراهم بأنهم أكفاء وقادرون على تحمل الصعاب وهذا مانوه به الحاكم من خلال كلماته بحق ابن عمار لكونه " كان رجلاً قوي الشكيمة ، وافر العصبة " (عنان ١٩٣٥، ص٥٢٩) باعتباره زعيم كتامة، والتي كانت من اقوى القبائل المغربية وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها، وكان لهذا التوجيه اثره الكبير حتى نجد ان اكثر الناس " كانوا يترجلون بأسرهم عند مرور ابن عمار "(المقريزي ١٩٩٨، ص٣٤) وهذا بفضل الدعم المطلق من قبل الحاكم لابن عمار مما جعله في مصاف رجال الدولة المهابين.

وللحاكم كانت له توجيهات كثيرة لكونه " :يعد كثير الامتطاء في الليل، وكان يركب في كل موضع والى شارع والى زقاق لذلك أمر الناس بالوقيد " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

وهذا يعني ان الشوارع والأزقة كانت مظلمة مما يسهل على اللصوص وقطاع الطرق – والذين كان ينظر إليهم كنتوء شاذ وكبؤرة للسلب والنهب – التجوال فيها وبالتالي يفتقد الأمن؛ لذلك أوعز بهذا التوجيه المباشر من اجل حفظ المجتمع من هذه الاختلالات المجتمعية غير المتوازنة عبر تجواله في هذه الأزقة، وهذا مؤشر على حركيته واهتمامه بأدق التفاصيل.

لكن هذا التوجيه بالوقيد من الحاكم كانت له تداعياته السلبية على الشارع المصري بعد ذلك إذ " ان الناس تزايدوا فيه بالأزقة والشوارع، وخرج سائر الناس ليلاً للمشاهدة، وكانت النساء اكثر من الرجال على الخروج ليلاً، بل كان الزحام في طرقات القاهرة وشوارعها، شديداً وتجاهروا بكثير من المنكرات " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٨)

كذلك " وجّه بعدم خروج النساء من بعد صلاة العشاء فان ظهرن نكل بهن " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

بل وأصدر أمراً منع فيه الناس من المكوث في الحوانيت (المقاهي)؛ لذا أرسل إلى المحتسب (غبن)، يوصيه بالتشدد في منع شرب النبيذ أو صنعه، أو أي نوع من المنكرات، وتتبع المخمورين؛ فمصر في ذلك الوقت، كانت قد اشتهرت بصناعة البيرة المسماة "فقاع " والنبيذ المسمى مزر "(المقريزي ١٩٩٨، ص٩١)

وهناك من سبق الحاكم في هذا الإجراء لكن لم تسلط عليه الأضواء " فقد بذل الحكم بن عبد الرحمن الناصر (ت ٣٦٦هـ) جهوداً جبارة لنشر الفضيلة واستئصال شأفة الرذيلة وبذل اقصى وسعه في إبطال الخمر في مملكته حتى قيل انه وصل به بغضها الى الحد ان همَّ باستئصال الكرم من الاندلس فلم ينته من عزمه الا بعد ان تبين له ان هذا المنكر قد تعصر من غير العنب كذلك "(المشاهدي ١٩٤٨، ص١١٣)

ومن المحتمل ان يكون السبب وراء اصدار هذه التوجيهات ان الخلافة الفاطمية قامت على أسس دينية ، لذا لابد ان تكون حريصة كل الحرص ان تحيط نفسها بهالة من الكمالات، وربما اراد الحاكم من خلال هذه التوجيهات نشر الاداب العامة واخفاء الطابع السيئ عن كبريات مدن العالم الاسلامي ، وإظهار معالمها للغرباء بأنها تمثل المدينة الفاضلة، ولاسيما انه عمل على استقطاب العلماء والفقهاء من مختلف الامصار الى عاصمة الدولة الفاطمية (الخربوطلي ١٩٦٣، ص١٥٦)

وهذه القرارات جاءت بناء على العيون التي اعتمد عليها الحاكم بأمر الله سواء من الرجال او النساء لمراقبة تحركات رجاله وكل اهالي البلدة (المقريزي ١٩٩٨، ص٧٦) لكن الغريب في سنة 399هـ أمر الحاكم بقتل هؤلاء العيون عن آخرهم، وذلك لان صفة الثقة لم تتوفر في الغالبية العظمى من اصحاب الخبر (العيون) ، كما ان نفوسهم كانت دنيئة ، فكانوا يبتزون الأهالي ماديا وذلك بتهديدهم بموجة الغضب التي تحل بهم من خلال الصاق تهم بهم هم منها ابرياء (بقطر ١٩٥٦، ص١٥)

ولأن من المفترض ان يكون هؤلاء نصحاء صدق أمناء عقلاء حتى لا يدخل الكذب الى اخبارهم وينعدم نفعهم ويتفاقم ضررهم، وكم ضحية ذهبت لتلك العيون الخسيسة الغادرة ،وكم نجحت وشايات ودسائس وأكاذيب فاز بها قوم على حساب قوم، هذه هي الفئة الجاهلة

التي لا علم لها بمبادىء التجسس وفنونه، ولكنها عالمة في فنون النميمة، بل حاذقة في صناعة التقولات واختراع القصص وحبك الدسائس والتهم (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

وحتى يكون الحاكم قريباً من الرعية ويعكس مدى مودته لشعبه نجده " يأمر الرجال المشاة بين يديه بأن يسمحوا لكل رعاياه من الوصول اليه ، فاحدق الناس به وأكثروا من الدعاء له " (ش. الذهبي ١٩٩٠، ص٢٨٣)

وأمر فيها بقتل جميع الكلاب، فقتلت عامة الكلاب في دولته (المقريزي ١٩٩٨) فقتل منها ما لا يعد حتى لم يبق منها في الشوارع والازقة شيء وتم رميها بالقفار وبالنيل (البيهقي ٢٠٠٣، ص٨) وقد يكون الحاكم في هذا التوجيه قد استند الى أسباب دينية ، و أما الدليل فقد ورد في كثير من الأدلة ما يؤكد على عدم طهارتها، وقد روي عن أبي سهل قال أنه سألت أبي عبد الله عليه السلام عن لحم الكلب؟

فقال " :هو مسخ ."

قلت " :هو حرام ؟"

قال " :هو نجس ."

كررها عليه مراراً وكل هذا ويقول هو نجس (المقريزي ١٩٩٨، ص١١١)

وقد تكون كثرة الشكاوى المقدمة من قبل الأهالي هي التي حفزت الحاكم بأن يوعز بقتل هذه الكلاب، وهذا بحد ذاته تحوط صحي لا يزال يتبع في عصرنا في جميع الأمم المتقدمة.

والغريب اننا نجد توجيه الحاكم بالكتابة في شهر صفر على اغلب المساجد، وعلى الجامع العتيق من ظاهره وباطنه وفي جميع اتجاهاته، وعلى بوب الحوانيت والحجر والقبور والقفار بشتم السلف وسبهم، ونقش ذلك ولون بالأصباغ والذهب؛ وعمل كذلك على أبواب الدور وأبواب القياسر (الانطاكي ١٤١١، ص٢٧٨)

ولابد من أن الوقوف على فرية مسألة السب التي نسبت الى الحاكم الفاطمي وهو طرح غير معقول ولا مبرر في حال وقوعه، كما إن هناك جملة من المؤرخين لم يذكروا هذه الفرية بل أوردوا التسامح ومنع سب الخلفاء جرياً على سنة آبائه ومنهم الانطاكي (الانطاكي ١٤١١، ص٢٧٩) و ابن الاثير (الكرم ١٩٩٧، ص٥٨)وابن ايبك الدواداري (الله ١٩٦١،

ص٢٧٩) والنويري (الاسكندراني ١٩٧٠، ص٣٦)وابن خلدون (خلدون ٢٠٠٠، ص٦٠) والقرماني (القرماني د.ت، ص١٩١) وغيرهم.

كما ان كثير من المؤرخين ومنهم دفتري قد صنف المؤرخ المسيحي الانطاكي الذي ذكر هذا الخبر على انه من المؤرخين المعادين الذي قام بدور كبير في تشويه معالم الدولة الفاطمية وخلفائها.

كذلك نرى ان الفقيه المحتسب ابا اسحاق المالكي الغافقي، رأى رجلا استهزأ في سوق الفسطاط بالشيخين ابي بكر وعمر فأمر بالاقتصاص منه من خلال جلده حتى مات تحت السياط، وكانت ردة فعل الحاكم بأمر الله على هذا الاجراء، ان ارسل الى المحتسب ليشكرّه على عمله هذا قائلاً له" :هذا جزاء من يزدري بالسلف الصالح "(ش. الذهبي ١٩٩٠، ص٩٨)

وفضلًا عن ماورد فقد أصدر الحاكم الكثير من السجلات والتي اظهر فيها الترحم على اهل السلف والصحابة (المقريزي ١٩٩٨، ص٢٥٠) كما انه كيف يكون بهذه النزعة الطائفية الحادة وقد أمر" بتعيين القاضي (ابو العباس احمد بن أبي العوام)، حتى انه لما قال له الناس: " انه ليس على مذهبك ورأيك ولا على مذهب ورأي من سلف من اهل بيتك " فأجابهم قائلاً : "هو عندنا ثقة مأمون مصري عارف بأهل هذا البلد وبالقضاء، ومافي هذا البلد من ينفع لهذا الامر غير هذا القاضي " (المقريزي ١٩٩٨، ص٢٥٠)وهذا دليل لا يقبل الشك بحيادية الحاكم، فضلاً عن ترجيحه لثقة وأمانة القاضي والتي وضعها فوق كل إعتبار، وهذا الامر واضحا من خلال ما صرّح به القلقشندي قائلاً: " ان مذهب الشافعي ومالك ظاهري الشعار في زمن العبيديين " (القلقشندي ١٩٨١، ص٢٥٠)

و كيف يكون بهذا التوجه الذي رسمه له اعدائه، وقد وقع اختياره على الفقيه ابي اسحاق المالكي الغافقي ليتولى منصب الحسبة ومنحه صلاحيات جمة (الصفدي ٢٠٠٠، ص٢٢٠)

ومن الدلائل على تسامح الحاكم بأمر الله مع الفرق الاخرى جعلته " يُلزم الفقهاء بنشر مذهب مالك (ا. الذهبي ١٩٧٤، ص٢٤٥) وسمح لاتباع مذهب مالك ان يتعاطوا اصول مذهبهم في دار الحكمة (تامر ١٩٨٢، ص٨٩)

وفيه أمر النصارى بعمل ركب السروج من الأخشاب، والزمهم ان يكون الصليب طوله ذراع، وكثرت توجيه الاهانات لهم بل وضيق عليهم امرهم؛ وتم اجبارهم على ان يكون وزن الصليب حوالي خمسة أرطال وأن يكون مكشوفاً فوق الثياب، فامتثلوا لذلك، ولما زاد الامر سوء تظاهروا بالإسلام، فوقع الأمر بتهديم كنائسهم، واصبحت مساجد ورفع الأذان في بعضها وتم بيع مقتنياتها (المقريزي ١٩٩٨، ص١٢٤)

ويبرر دفترى سلوكيات الحاكم فيما يخص اضطهاده لاهل الذمة الى رغبة الحاكم في تعزيز شعبيته وحضوره بين المسلمين في مصر الذين كانوا مناوئين للذميين في ظل العزيز. (دفتري، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ٢٠١٤، ص٣١٥)

وهذا قياس مع الفارق، لكون انه لا ملازمة بين اضطهاد النصارى واليهود مقابل استرضاء المسلمين لاسيما إذا عرفنا ان سياسة الحاكم تعد انقلاباً جذرياً في سياسة الدولة ازاء اهل الذمة، لكون هذه الدولة منذ قيامها بمصر كانت تؤثر سياسة التسامح والإيثار، وتذهب بهذا المبدأ الى أبعد مدى علما ان هذه السياسة لم تستفز مشاعر المسلمين، أما إذ رأى الحاكم الفاطمي فعلاً أن تعزيز حضوره بين رعاياه تكمن في اضطهاد المستضعفين من أهل الذمة فهذا إن وقع " فهو يعد من تفكيره المتزمت، وبالتالي فقد طلب النصر بالجور."

وقد نلاحظ ان هذا التطرف من جانب الحاكم بأنه نوع من الغلو الديني له بواعثه النفسية؛ ففي هذه المرحلة التي أشتد فيها الخطوب على اهل الذمة كان الحاكم يبدي الكثير من التزمت سواء من الناحية الدينية العامة او الناحية المذهبية الخاصة، ولكن هذه الشدة استحالت في اواخر عصره الى نوع من اللين والرفق بالنصارى واليهود، ذلك بسبب ان هذا العقل المضطرم يبلغ به الحال عندئذ الى ذهن فلسفي حر التفكير يرى ان الاديان كلها تنبع من ينبوع واحد، وفي هذا التردد بين الشدة واللين ومما يلاحظ في هذا الصدد ان موقف الحاكم اتجاه النصارى واليهود هو من المواقف النادرة التي كان فيها الحاكم على سياسة ثابتة، وانه لم يجنح فيه من الشدة الى اللين إلا في نهاية عصره. (عنان ١٩٣٥، ص٧٧١)وهذا يعني ان رعايا الحاكم كانوا"مرة عيش ومرة جيش " (العسكري ١٩٨٨، ص٢١٨)

اما فيما يخص أصباغ الجنبة الالهية على شخص الحاكم بأمر الله، فهنا نجد التوجيهات التي تبين الحكمة في معالجة هكذا ظاهرة فقد انفرد بها الحاكم وقد تقضي على الدعوة الاسماعيلية في حال سريانها، وبما ان هذه الدعوة كانت منطلقاتها فكرية فلابد ان تقرع بفكرة من نسيجها حتى يتم دحضها، لذلك نجد الحاكم بأمر الله قد اتخذ العديد من الوسائل في سبيل إنقاذ المذهب ودعاته من هكذا طروحات، فعمل على الإتيان برجال من أتباع المذهب الموثوق بعقيدتهم وتمذهبهم السليم، فاستدعى (ختكين الضيف) وعينه داعي الدعاة (ا. الكرماني ١٩٦٧، ص٤٢)

كذلك استخدم (الحاكم بأمر الله) داعية آخر وهو (حميد الدين الكرماني) حيث جعله رئيساً لدار الحكمة (تغري ١٩٩٢، ص٢٢٢) ، دون ان يعينه رئيسا للدعوة بسبب وجود (ختكين) المذكور (حسن ١٩٩٦)؛ فكتب (الكرماني) رسائل عديدة للدفاع عن المذهب الاسماعيلي، ففي (رسالة مباسم البشارات) التي بين فيها ظروف المحنة وسوء حالة الدعاة، وظهور المنافقين، وصدق إمامته وحقيقتها، وان ما حدث هو إرادة إلهية لامتحان عباده (ا. الكرماني د.ت)؛ كذلك كتب رسالة أخرى للرد على دعاوى الغلاة وتقولاتهم كانت بعنوان (الرسالة الواعظة في نفي ألوهية الحاكم بأمر الله) (ا. الكرماني، مجموعة رسائل الكرماني ١٩٨٣، ص٤٢)

واستخدم الحاكم منتهى القسوة من خلال قتل الدعاة الذين غالوا فيه أو لم يدفعوا عنه فرية التأليه، ويؤيد هذا الرأي ما تداوله المؤرخون من انه اقتص من العلماء. (تغري ١٩٩٢، ص٢٢٢)

وعليه فقد اخطا العباسيون في هذا الطعن – ادعاء الألوهية – على الفاطميين لانه لا يقبل العقل ان يعمل الفاطميون على تصديع اساس دولتهم بإثارة الناس ضدهم في الداخل واشعال لهيب حرب إعلامية لاهوادة فيها عليهم من الخارج. (الفتاح ٢٠٠١، ص٦٣)

والخلاصة أن الحاكم بأمر الله لم يكن الشخصية الهشة الساذجة ولا تلك العقلية الفجة التي تقدمها الينا الرواية المغرضة ، ولم تكن أعماله وأحكامه التي أصدرها ، كما صورت عبر العصور مزيجاً من النزعات والأهواء اللاعقلانية ، إنما كان الحاكم شخصية ملغزة قد صعب على الكثير حله ، وكان ذهنًا عميقاً ، وكان عقلاً تسمو على مجتمعها وتتقدم

عصرها بمراحل وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تأخذ في التاريخ مكانها الحق (عنان ١٩٣٥، ص٧٧٢) بل يصفه الذهبي بقوله: " خبيثًا ماكرًا رديء الاعتقاد" (تغري ١٩٩٢، ص٧٧٤)

وهذه نعوت ليست من خواص الذهن المريض الذي يفكر دون النظر في عاقبة الامور ، او الذي يعمل دون رؤية (عنان ١٩٣٥، ص٧٧٠)

ويبقى الحاكم بأمر الله وطموحه وظروف حكمه للواقع المحيط به ، ثم الآليات التي استخدمها تبدو في بعض الاحيان متلائمة مع زمنه وفي أحيان تبدو غير مفهومة لأهل زمانه (الغيطاني ٢٠٠٨، ٢٠٩)

وتبقى مسألة استيعاب فترة الحاكم أو تقديرها بشكل مناسب لم تكن أمراً مثيراً للحيرة بالنسبة لمناؤوه الذين كان عداؤهم التقليدي لحاكم إسماعيلي يساهم في جعل أي رواية عن أعماله أكثر عتمه فحسب، بل إنها أثرت بقوة على أولئك المخلصين للإمام (بول ١٩٨٠، ص١٦)

وحمادى القول كيف يسلم الحاكم والفترة التي عاش فيها لاسيما اذا علمنا ان المحضر الأول الذي كتبه العباسيون سنة ٤٠٢هـ خصيصاً للقدح في الحاكم بأمر الله (الفتاح ٢٠٠١، ص٢٧)

وهذا واضح من خلال اتهامهم بالكفر والزندقة بقولهم: " ... وان هذا الناجم بمصر (الحاكم بأمر الله) هو سلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون وللسّلام جاحدون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون" (ا. الذهبي ١٩٧٤، ص٢٢)

ثالثاً: السمات الفنية

من أهم خصائص التوجيهات هو الإيجاز أي انها تمتاز بأسلوب موجز، وهي تتردد ما بين كلمة أو كلمتين او عبارة موجزة، وبالنظر الى توجيهات الحاكم بأمر الله نلاحظ انها تميل الى القصر والايجاز، وذلك لكون الحاكم لا يفصل ولا يشرح في تلك التوجيهات، التي تكون في معظمها واضحة ولا تحتاج الى اكثر من تفسير .

والملاحظ في توجيهات الحاكم بأمر الله انها غير قابلة للنقض او المناقشة، بل نجدها تطبق بأدق تفاصيلها مهما كان نوع هذا التوجيه، وأكثر هذه التوجيهات بل اجمعها تخلوا من

الدعاء والبسملة والآيات القرآنية ، ولم يوظف الحديث النبوي في اي من توجيهاته ولم نجد أي صورة من صور المجاملة .

ونجد وضوح الأسلوب الإنشائي الطلبي في التوجيهات، وخاصة الأمر والنهي، وهذا بديهي لكون هذه التوجيهات تصدر من الهرم الأعلى في الدولة، وقد جمع الحاكم بأمر الله كل سلطات الدولة بيده وكان يشرف بنفسه على كل صغيرة وكبيرة، حتى اننا لانجد اي شخصية في ايام دولته قد علا شأنها بإستثناء شخصية الحاكم بأمر الله .

ونلحظ كذلك في توجيهات الحاكم انها جاءت دون تكلف أو تصنع بل خلوها من الصنعة الفنية .

الخاتمة:

١. تنوعت توجيهات الحاكم بأمر الله وكانت التوجيهات التي تخص المجتمع المصري هي الغالبة ، ويأتي التفسير الاجتماعي للتاريخ كأحد ابرز المدارس التي اتجه اليها المؤرخون لتفكيك الحدث التاريخي ودراسته وإعادة بنائه وفق منظور اجتماعي يراعي دور الطبقة في تسيير الأحداث التاريخية والتحكم المباشر في سيرورتها.
٢. مالت توجيهات الحاكم بأمر الله الى الايجاز خلاف التوقيعات التي تكون في اغلبها طويلة.
٣. اتجهت توجيهات الحاكم بأمر الله الى التقرير والمباشرة ، بل نجد هذه التوجيهات خالية من الدعاء والبسملة ، فضلاً عن عدم اكتراثه بالصور البيانية ، وهذا دليل على وجوب تنفيذها بدون قيد أو شرط لكونها صدرت من المقام الأعلى في الدولة من خلال مشهد حسي ومنظر مرئي وعلى الجميع الطاعة مهما كانت هذه التوجيهات.
٤. واخيراً لا ندعي ان جميع توجيهات الحاكم وتصرفاته قد وصلنا الى تعليلها او نفذنا الى بواعثها ، فهناك الكثير منها لا نستطيع فهمه لكن هذه التوجيهات كانت بالضد ما تصوره خيالات المؤرخين بانها اهواء نفسية لحاكم مهووس ، بل كانت في جملتها منظومة اصلاحية شاملة كان الهدف منها تحقيق غايات لاريب في حكمتها وسموها .

المراجع

ابن العماد عبد الحي بن احمد الدمشقي. *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٩.

ابو بكر بن عبد الله. *كنز الدرر وجامع الغرر*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١.

ابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري. *جمهرة الامثال*. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨.

احمد بن الحسين بن علي البيهقي. *السنن الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

احمد بن علي بن احمد القلقشندي. *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. دمشق: وزارة الثقافة ، ١٩٨١.

احمد بن يوسف بن احمد القرماني. *اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ*. بيروت: عالم الكتب، د.ت.

احمد حميد الدين الكرماني. *رسالة مباسم البشارات*. د.م: محمد كامل حسين، د.ت.

—. *مجموعة رسائل الكرماني*. بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣.

احمد حميد الدين بنر عبد الله الكرماني. *راحة العقل* . بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٧.

الحافظ شمس الدين الذهبي. *دول الاسلام*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

امير بقطر. "العيون الخفية ." *مجلة الهلال* ، ١٩٥٦.

تقي الدين احمد بن علي المقريزي. *اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا*. القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٩٨.

جروان السابق. *الكنز الوسيط* . بيروت: مطبعة فؤاد بيبان، ١٩٨٤.

جمال الدين يوسف بردي ابن تغري. *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* . بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢.

جمال الغيطاني. "صاحب هذا المكان الحاكم بأمر الله الفاطمي." *مجلة الموسم*، ٢٠٠٨.

حسن ابراهيم حسن. *تاريخ الاسلام السياسي* . بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦.

سعد رزوق. *موسوعة علم النفس*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر ، ١٩٨٠.

سيد عبد الفتاح. "محاضر المجالس العباسية وحرب الدعاية ضد الفاطميين." *مجلة كلية اللغة العربية* ، ٢٠٠١.

شمس الدين محمد بن احمد الذهبي. *تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير* . بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٠.

صبيح المشاهدي. "نظرات في الادب العربي الاندلسي." *مجلة الشعاع*، ١٩٤٨.

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. *الوافي بالوفيات* . بيروت: دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٠.

عارف تامر. *الحاكم بامر الله خليفة وامام ومصلح*. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.

عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي. *شرح نهج البلاغة*. بغداد: دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٧.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠.

عز الدين علي بن ابي الكرم. *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧.

علي حسني الخربوطلي. *مصر العربية والاسلامية السياسة والحضارة في العصر العربي الاسلامي منذ الفتح العربي الى الفتح العثماني*. القاهرة : مكتبة الانجلو، ١٩٦٣.

فرهاد دفتري. *الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم* . بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤.

—. *الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم* . بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤.

كاريل الكسيس. *الانسان ذلك المجهول*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، د.ت.

لويس برنارد. "اللغة السياسية في الإسلام." *مجلة الفكر العربي المعاصر*، ١٩٩٠.

محمد بن قاسم بن محمد الاسكندراني. *كتاب الإلمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية* . الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٠.

محمد بن يعقوب الكليني. *اصول الكافي* . بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.

محمد عبد الله عنان. "الحاكم بأمر الله ." *مجلة الرسالة* ، ١٩٣٥.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٩.

ووكر بول. *الفكر الاسماعيلي في عصر الحاكم بامر الله* . سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٨٠.

يحيى بن سعيد الانطاكي. *تاريخ الانطاكي المعروف صلة تاريخ سعيد بن البطريق المسمى صلة تاريخ اوتيخا*. لبنان : د.م، ١٤١١.